# النساء والرجال

## وجوه الشبه والاختلاف بين الفريقين

٢

١١ : يظهر حب المرأة للاجتماع في شوقها الشديد للاستحسان الاجتماعي — الرأي العام . فرأي الجيران عندها وزن ليس عند الرجل مثلهُ لان هذا الشعور الاجتماعي يشغل من حياتها ما لا يملؤهُ الحب والامومة فهي تفوق الرجل غروراً وزهواً بفضلها وجمالها فتقضي كل يوم نصف ساعة على الاقل في ذرّ مسحوق « البودرة » على انفها . ويبلغ حبها للبلاغة في بيانها حدود الهذر وميلها الى التقليد في اعمالها حدّ المبالغة وهي اكثر من زوجها هياماً بالارتفاع في الدوائر الاجتماعية بل ان تطلعها الى المقام الاجتماعي يثير اكثر من نصف الرياح التي تسوق شراعهُ . ولذلك هي راضية برضوخها لمن فوقها ، فخورة بسيادتها من دونها وللاسباب نفسها هي اكثر ادباً ، واعمق شعوراً ، وابلغ لطفاً ، لان شعورها الاجتماعي ممتزج بامومتها ورقتها ، ولا ريب في ان لطفها واستعدادها لمؤاساة الضعيف يرجحان غرورها

١٢ : وبالنتيجة ان اتصاف قلب المرأة وعقلها بهذه الصفات يجعلها اكثر تديناً فتحملها شدة عاطفتها على الاسراع في تلبية الحث الشديد الذي توجههُ الديانة الى الاحساس والشعور . وهي اكثر من الرجل شعوراً بالنكبات التي تفاجئ الحياة وتترعها حزناً وامى . وشوقها لاستئناف العلاقة الحية مع الحبيب الذي فقدتهُ يقنعها بصحة الخلود . فتظل الطبيعة لغزاً مقدساً لها . (ولعلها في عجزها الوضيع هذا ، عن فهم الاسرار ، اكثر التصاقاً بالطبيعة من عالمنا الميكانيكي) . فهي بحسب فطرتها تعبد حيث يجدّ الرجل في البحث العلمي . ولما كانت ضعيفة في بناء جسمها فمن الطبيعي ان ترنو الى حماية من يحبها . واذ يحيّر العالم عقلها تنتسب الهداية السموية بالصلاة . ولما كانت تخاف الوحدة وتميل الى الاجتماع فهي تملأ جوّها بالارواح العلوية التي تؤنسها في وحدتها وتساعدها في حاجتها وضعفها . وهي اول من يرحب بصور جديدة من الايمان واخر من ينبذ الصور القديمة ، قد يحمل اليأسُ الرجل على الانتحار ، اما المرأة فبعد فؤادها كل رجاء تجد قوة وسلوى في الله

١٣ : هذه هي غرائز الرجل والمرأة الاساسية . على انهُ لا يجوز الظن انها لا تتحول

بالاختبار ولا تصقل بالتهذيب . فكلا الجنسين ارتقى ارتقاء عقليًّا على اساس هذه القوى والغرائز . فكيف يختلف هذا البناء العقلي الساسي في الجنسين ؟ الجواب ، انهُ في الرجال اوسع واعلى ، لانهم خرجوا ، في خلال القرون المتوالية ، من وضع التقليد الى عالم التجديد ، واضطرتهم حيثية الاعمال ان يواجهوا احوالاً جديدة وعوامل جديدة لا تلائمها الغرائز التقليدية القديمة . فبالضرورة اوتيت قابليتهم الفريزية المؤدية الى النجاح الذي يثير ذكاء العقل ويذكيه . على انهُ يمكن اتخاذ الغريزة دليلاً في بعض الاحوال الخاصة فاذا كانت الحالة التي يواجهها الانسان من النوع التقليدي ، كالحالات التي صادفتها الانسانية قرونًا متوالية ، كانت الغريزة كافية كدليل للتصرف ، وحينئذٍ تبرهن ارجحيتها على اذعان الفكر المجرد ، الى عهد قريب كانت مساعي المرأة منحصرة على وجود الزوج وتربية الولد . ولا يزال ذلك السعي يشغل جانبًا كبيرًا من وجودها . هذه هي القضايا البديهية التي قابلتها كل امرأة الى ابعد ما تبلغ الذاكرة . ولاجل هذه المواقف شاءت الطبيعة غرائز تطابقها . وتلك الغرائز هي هادمة احيانًا ، ولكنها على العموم مفيدة ومعقولة

١٤ : فمن ثم كانت المرأة تفوق الرجل في وحدة الغريزة وكمالها ودقتها . والرجل اكثر انقيادًا وارتياحًا وتلونًا بصفة الفكر المجرد . فاضاع الثروة التي تمنحهُ اياها غرائزه يُحل محلها لبنًا يمكنهُ من مجاراة احوالهِ الجديدة . ففقد بذلك وثوق العمل الغريزي وانقاذهُ وسرعة تبيته الموقف الذي يقتضيه . فهو جائر طائش في حضرة المرأة ،

[illegible]

وسم الخطط ، واسرع في تطبيقها متى كانت المسألة الخارجة عن علاقة الشرين ، او الابقاء على حيف ، امر النساء [illegible] من رجل تحت التلاشي . يشاهد امرأة في العشرين من في اطلب الطبيعة بالغريزة [illegible] امرأة قبل ان تعرفها فكانها انتقلت الهامع من امم الوراثة [illegible] يحسن الرجل عن [illegible] الاشياء بهم الاختبار السبب ، فالمرأة [illegible] وان تصورات تصورات [illegible] والرجل يسوغ اكثرها رويًا . المرأة تفكر [illegible] وهي [illegible] الرجل الى اختلاق الاختبار في [illegible]

[illegible] كانت اسرع منهُ في بلوغ طور الرشاد ، فاقصر منهُ حبوة ولذلك حكم بعضهم بانحطاط

جنسها — لان الصبوة تطول على قياس ارتقاء النوع، وذلك من قضايا علم البيولوجيا — ولكنهُ حكم يلزم اطراحهُ لانهُ اذا صح كان الفيل والسحفاة ارقى ما ابدع الخلاق. فللعقل صبوة كما للجسد، وتختلف مدة الصبوة العقلية في مختلف الاشخاص. فبعضهم يرشد باكراً، وبعضهم آجلاً، وآخر لا يرشد مدى الحياة بل يموت قاصراً كما عاش قاصراً. والظاهر ان صبوتنا الانسانية مديدة، اذ يزداد عجزنا في عالم يزداد تعقيداً وبعداً عن استعدادنا الفطري ووسائلنا الموروثة. وقليل هم الرجال الذين يبلغون رشادهم العقلي في يومنا هذا قبل انتصاف حياتهم. ولكن المرأة، بالنظر الى بساطة حياتها، وقربها الى الفطرة، ترشد باكراً جداً وعقلاً. فتتقبس آداب الاجتماع عن رضاء وهي اسرع تلقناً في المدرسة من فتى في سنها. وقد برهنت حديثاً عن تفوقها، في كلية رد كليف، على اقطاب الطلاب في جامعة هارفرد. على ان هذه السرعة في الارتقاء تميل الى الوقوف باسرع مما في الذكور. فلا تتقدم الانثى عما كانت يوم ولادتها بقدر تقدُّم الذكر المكافح المختبر. فهي تلوذ بالتليد وهو يقتنص الطارف. هي عضو المحافظة ومقره، وهو مندوب التنوع ومناديه. هي جذور شجرة الانسانية وجذعها، فتتشبث بالتربة التي منها تستمد نموها وتنبت، فروعها في محيطها الترابي واغصانها في محيطها الجوي

١٦ : والجانب الآخر من محافظة المرأة سببهُ ان مهامها عائلية ومحيطها الغالب هو بيتها. فهي عميقة كالطبيعة، تحدّ جدرانُ غرفتها فكرها وعاطفتها فتراثرها تميل بها الى المحافظة على التقاليد كما يميل الحبير الى الميدان الذي يتفوق فيه على غيره. وهي كذلك اقل ميلاً من الرجل الى التحقيق والامتحان في المسائل العقلية والادبية

واذا دفعت بها دواقع الشباب والحماسة الى ولوج ابواب الاصلاح السياسي، ونشر لواء محبتها على الانسانية، فانها تصدف عن هذه التجارب حالما تجد قريناً امينا وتخرج به شيئاً فشيئاً من دائرتها الحسية الواسعة الى دائرة المحبة العائلية الضيقة النطاق.

وحسناً تفعل، لان المرأة تعلم، دون اعنات للفكر، ان الاصلاح الوحيد الصحيح يبدأ في العائلة. فحين تحوّل غيرتها النائمة الى العناية باولادها تكون نائبة الجنس في البدء بهذا الاصلاح لان طبيعتها قليلة العبء بالدول والشرائع. وشغفها موقوف على العائلة والولد فاذا افلحت في حفظ هذين فسيان عندها الحكومات والاسرالملكة. فتسخر ممن يعنون باصلاح القوانين والنظم الاساسية. واذا لاح لنا الآن ان الطبيعة خائبة في حفظ العائلة والولد فذلك لان المرأة تناست احكام الطبيعة. ولكن الطبيعة لا تندحر طويلاً

١٧ : تُولد النساء مجهزات بالذكاء واليقظة . اما بعض الرجال فيحصلونهما بالجد والاجتهاد والبعض الآخر يرغم على الاتصاف بهما . فقد اصبحت حياة الرجال بعد الانقلاب الكبير الذي احدثتهُ الثورة الصناعية مجموعة من التبعات والمسؤوليات التي اقبلوا عليها او اقبلت عليهم من غير انتظار او استعداد . فرزح كثيرون منهم تحت ضغطها الشديد وفاز البعض الآخر بإذكاء نار العقل وبالذكاء الى درجة بعيدة تستنفد كل قواهم العصبية . لذلك ترى بين الرجال كثيرين من النوابغ والمجانين . ولما اخذت الصناعة تجذب النساء اليها وتظمهنَّ في سلكها اخذت النساء تتطور كما تطوَّر الرجال من قبل من الوجهة العقلية . ولكن رغماً عن كثيرهنَّ وتطوُّرهن ما زلنَ محافظات على بعض الفوارق العقلية التي يمتزنَ بها على الرجال

والظاهر ان المرأة تلقى عناة شديداً في ادراك الحقائق والمبادىء المجردة . لكن لها عيناً حادة تدرك الحقائق الواقعية وذاكرة قوية لحفظها . على انها غير بارعة في التعميم والتعليل المبتكر اذ تضيع نفسها وتعمى عن مقصدها لعنايتها بالتفاصيل . فهي اكثر اكتراثاً للشخصيات منها للافعال والاشياء . واذا جادلتْ في موضوع وقفت في جوابها موقفاً شخصيًّا ودافعت عن رأيها من وجهتها الخاصة . وذلك لانهُ قُسم لها من مهد العمران ان تعنى بالاشخاص — الزوج والولد . واما الرجل فقد حتم عليه ان يخوض معامع التجارة والصناعة ويصطدم بالعوامل والافعال الطبيعية والاجتماعية فضلاً عن احتكاكه [illegible] السهل على الرجل ان [illegible]

البكون وتصور الاجنبي في حين يتعذر عليه ان تتصور [illegible] ان الذكاء [illegible] تكوّنا بعوامل خاصة وانتابت [illegible] الامام .

يرتاح خاطر الرجال . من دلائل الفوارق العقلية بين الجنسين، الى قلة ما ابرزن من آثار الذكاء [illegible] فارقى في الفن الذي لا يحتاج من علائقه بالجمال [illegible] في الموسيقى الفائقة في الشعور ، كان منتوج المرأة اقل مما دلت عليه جهودها وفرصها . فالنساء اكثر عزفاً لدقيقات الموسيقية ، ولكن الرجال اكثر تأليفاً في فنها . ومتى اعترف الرجل للمرأة بمزية ما فانه كان ذلك بمقتضى لا [illegible] اياها بقوله « انها عقلية رجل » . قال شوبنهور بوجود حرب بين اللطنة والامومة . فاذا صدقناهُ نتج

عن ذلك ان ما من امرأة تتفوّق عقلاً الا اذا شذت ، شذوذ شوبنهور عن مستوى أقرانه . فقد دحضت جورج ساند لفائف الرجال . ورأى سبنسر ان جورج اليوت أقوى من أن تذوب نفسهُ الصلبة

واسباب عدم رسوخ النساء في الذكاء والنبوغ مركبة يتعذر حصرها ووصفها. وقد تكون متحاملين عليهنّ في تحديدنا ، ناسين ان في الامومة فطرة ذكاء كما في السياسة او الادب او الحرب . فلا يبنى الحكم بالمساواة في النبوغ على القابلية لعمل كل شيء بحذق واحد، بل يبنى على القابلية لانعام الاعمال انعاماً مقروناً بالصلاحية والملاءمة لكل جنس ولكل جيل. فنحن مبالون لانتقاض النبوغ في جيلنا متى قسناهُ بنبوغ القرون الماضية التي يحبوها تعظيمها في التاريخ بشيء من الروعة . ونرغب ، في عصرنا الحاضر ، في طلب الحكمة في نفس الميادين التي ازدهرت فيها سابقاً. مع انهُ قد تكون امثال العقول التي نبغت قديماً في الادب والفن ، غارقة اليوم في بحر الصناعة البعيد الغور والاطراف. فان الجهود لتجديد العالم الطبيعي تستغرق كل قوتنا وتستنفد كل جهدنا . عندنا علماء كبار، ومخترعون اعاظم، فلا تتوقعوا معهم ظهور افلاطون وشكسبير وليوناردو وبتهوفن

١٨ : ولعلّ تفوّق الرجال على النساء نوعاً سببهُ ان النبوغ يتجلى عادة في الاقلية المتعلمة في كل من الجنسين . فلا تصح المقابلة حتى يتناسب عدد المتعلمين العلوم العالية في الفريقين . وقد يكنّ في عوز للاستعداد الحيوي الطبيعي الذي يستلزمهُ الاشتغال بالفنّ . او انهنّ اقل منهم موهبة في حاسة الجمال التي تهيب بالنفس الى التجديد الروحي. فتخسر المرأة شيئاً من عبقريتها لرغبتها في ان تملك ، لا ان تملك. ولذا فهي فوضى الفن اكثر مما تسيطر . ونرجا لم نجد في الرجل المتكبّر الخشن من الجمال ما يثيرها للابتكار والابداع . وكيف تتطلب الجمال وهو مجسّم فيها

١٩ : بقيت مسألة واحدة ، وهي : أإرثيّة هذه الفوارق ام طارئة ؟ هنا يسر الحكم . لاننا في ميدان تنازع العلم ، وانياب الفلسفة في المعرفة وفي انتاج الفروض. وقد يضطر الانسان بالتسليم بانهُ مع الاقران هذه الفوارق ماديًّا واجتماعيًّا مختلف المزايا الراسخة في البنية والوظيفة ، فهي بالاكثر ارثية اجتماعيًّا وطارئة فرديًّا ، وتتوقف الى حدّ بعيد ، على التصورات التي يصوغها الرجال فيهنّ احتفاظاً بمقامهم واقتناعهم ، تحملهم عليها الوف من عوامل البيئة . وقد قالت احدى المعلمات محتجة : — يشجّع الفتيان على انماء الشخصية الفردية ويربون تربية تعدهم للاستقلال

في الفكر وفي العمل . ولكنّ الفتيات يؤمرنَ بالطاعة والاعتماد على الغير ، والتمايز بينهنّ وبينهم . ويحملن على الشعور ان التطرف في الاستقلال في الفكر وفي العمل هو تقهقر في سيرهنّ ، وغير لائق ولا نسائي . اما الفتى فقد نشأ على الشعور بان نجاحه في الحياة متوقف على فوزه في الابتكار »

على ان النساء برزنَ في ثلاثة أجيال في كل ميادين العمل والعلم من صفات الرجال العقلية والادبية ما يحسن كل فيلسوف ادبي في العالم المسيحي على ندْب رُجل الجنس الذي كان فيما سلف الجنس الاضعف والالطف . فقد اثبتت جماعات المحاميات والطبيبات والحاكمات قابلية النساء في دائرتهنّ الضيقة على انهنّ يستطعنَ مزاحمة الرجال في الفنون والاعمال التي سبق فرسخت اقدامهم فيها . وقد خرّجت الكليات منهنّ جماعات لا يقدم رجل على التزوج بهنّ ، لان تفوقهن العقلي يسقط صف الرجال في الزعامة والادارة ، وقد كان ذلك من موروثات الزواج الماضي وتحايله ، فالما خلفت المعامل البيوتَ والمخازنُ الحقول ، وعملت فيها الانثى جنباً الى جنب مع الذكر ، ضاقت ثغرة الفرق بينهما

فالنتيجة المعقولة لهذا الانقلاب السريع ان النساء اذا اخترن ان يعشن على قدم المساواة التامة بالرجل في وظائفه زاحمنهُ وفزنَ بالمساواة التامة به عقليًا وادبيًا . بل ربما فقنهُ عقلا . ولكن لا بدّ ان يظهرنَ من التعقل ما يثبت لهنّ ان تقليد الرجال عهد وينقضي وان الرجال لا يستحقون شرف هذا التقليد وان السعادة كالجمال والكمال تستتر في ادراك غرض الحياة وتحقيقه . وستطلب القائمات بحركة تحريرهنّ ان يكنّ نساء كواملَ لا رجالاً غير كاملين . فيجعلن الامومة فنًا يعتمد على الذكاء والاستعداد . ومن ثم فقد يجعلن الامومة اعظم الفنون وارقاها ؟

وقد اوقفن حريتهنّ الحديثة ، تجاه مسائل لا تقل عن مسألة استعبادهنّ تعقيداً وخطراً . وفي هذا الموقف ما من رجل يتمكن من اسعافهنّ . لان عقل الرجل اكثر ميكانيكية وخشونة من ان يفهم بلطف وشعور حراجة التطور الذي يشوّش حياة المرأة وعقلها . فعقل المرأة وحدهُ هو الذي يخوض هذا المعمعان الجديد . وقد تفوز فيه . فان الهمة التي مكنتها من احراز الحرية ستهبُ لمصادمة ما ولّدتهُ تلك الحرية من المشاكل . ولا بدّ ان تكشف السبيل لمقارنة اشعة الجمال والهمة التي سطعت منها الى اليوم باللطف اللائق الذي يزدهر في الحب المثلوكي والامومة الكاملة

مترجمة عن الانكليزية حنا خباز